مناقشات

كلمة حول ((نقد))

بقلم الدكتور زكريا ابراهيم

لست اريد ان اتصدى للرد على نقد الاستاذ معن زيادة لكتابي « تأملات وجودية » ـ فذلك ما اتركه للقاريء المنصف المدقق الذي استطاع بحق ان يفهم دلالة تلك التأملات ـ وانما كل ما اهدف اليه من وراء هذه الكلمة هو ان ازجي نصيحة صغيرة الى تلميذي الذي احبه ..

انك ـ يا عزيزي معن ـ حينما تعرضت لنقد تأملاتي قد خرجت على قواعد النقد الباطني ، فانك لم تعمد الى محاسبة صاحب التأملات على الخواطر او السوانح التي سجلها ، بل رحت تتطلب اليه ان يقوم بدراسة علمية لموضوع هو بطبيعته لا يقبل الفهم العلمي ! وانا ـ بطبيعة الحال ـ حين كتبت هذه « اليوميات » لم اكن ادافع عن قضية منطقية او ابرهن على نظرية علمية ،بل كنت اعبر عن مشاعر فلسفية حاولت ان اصوغها بمفاهيم معقولة . والفارق بيني وبين «الشاعر ان اللغة التي استخدمها للتعبير تستند في معظم الاحوال الى « مقولات عقلية » ، في حين ان لغة الشاعر تقوم على « مقولات وجدانية » . حقا لقد حاولت في بعض الاحيان أن اصطنع اسلوبا ادبيا رمزيا ، ولكنني حتى في تلك الاحيان لم اكن ارمي الى مجرد « التعبير » ، بل كنت اهدف الى صياغة المعاني الفلسفية المستغفلة بلغة الرمز والتشبيه والاستعارة ، حين تعز لغة المنطق والتعريف والعبارة ..

وقد كنت انتظر منك ـ يا سيد معن ـ ان تحلل الحركة الفكرية الجدلية التي تنطوي عليها التأملات ، او ان تفسر التناقض الخصب الحي الذي يكمن من وراء السوانح الفكرية الواردة في الكتاب ، بدلا من ان تثير قضية لا موضع لاثارتها في كتاب يعترف صاحبه منذ البداية بان لا موجب للفصل بين الميتافيزيقا والشعر . واما الدعوى السهلة التي تنادي بها ـ لحساب الوضعية المنطقية فهي في رأيي دعوى سطحية تطرب لها العقول الضحلة التي تظن انه ما دمنا نعيش في عصر العلم ، فلا محل للتأمل ، والنظر العقلي ، والتصورات الميتافيزيقية ، لان كل هذه قضايا خاوية لا تقبل التحقق ! وانام آخذ عليك انك في تحمسك لهذه الوضعية الرخيصة قد تناسيت المهمة الاساسية للناقد ، الا وهي ان يفهم ما ينقده « من الداخل » ، وان « يتعاطف » اولا مع الكاتب ، حتى يفهمه ، وبذلك يتسنى له من بعد ان ينقده . ومن هنا فقد جاء نقدك ـ يا عزيزي معن ـ لمسا سطحيا عابرا لم يكد يمس جوهر الموضوع . وانا في انتظار اراء القراء لمعرفة مدى اقتناعهم بوجهة نظرك في النقد . واحسب في النهاية انك لست بحاجة الى الاعتذار الي عما كتبت ، فليس فيه اساءة الي بقدر ما فيه اساءة للفلسفة نفسها ..

زكريا ابراهيم

الجر اللفظي والجر الديناميكي

بقلم عايد نصير حداد

قرأت في العدد التاسع (ايلول ١٩٦٢) من الاداب في باب صندوق البريد » تقييما جديدا للنحو العربي بعنوان « أيهما يجر الاخر ؟ » للدكتور حسن الصابر فأخذت ببريق الكلمات وخدع المقارنات بادىءالامر، وعندما أنعمت النظر في طريقه وتفسيره لمعنى المجرور وجدته والصواب على حدي نقيض .

أول خطأ في هذه النظرة التفسيرية عند تطبيقه القوانين المادية على الكلمات وحركاتها وتأثير هذه الكلمات بعضها ببعض في تحركها بالفتحة والضمة والكسرة . فهو يستكثر على حرف الجر « في » المكون من حرفين ان يجر الاسم « الصحن » المكون من خمسة احرف وكان الجر الذي هو خفض اللفظ بالكسرة عملية ديناميكية يستعمل فيها الحرف « في » قواه العقلية ليتغلب على قوة خصمه الصحن فيسحبه من مكان الى آخر .

وبناء على هذا القانون المبتكر يمكننا ان ننكر فعل الفاعل في المفعول به اذا كان اصغر منه حجما او اقل منه حروفا كان تنكر ان قطا قتل ثعبانا في هذه الجملة : « قتل قط ثعبانا » لان الثعبان اطول منه جسما وربما بعضه اكبر منه حجما واثقل وزنا وبالتالي اكثر منه حروفا ، وبهذا الاعتبار يمكننا ان ننكر فعل الاسماء القليلة الحروف بالاسماء الكثيرة الحروف ونغير قواعد لغتنا التي اعمل مفكرونا الافذاذ ونحاتنا الجهابذة عقولهم في استنباطها وافنوا حيواتهم في السعي وراءها .

أهذا معنى الجر في النحو ؟ أهو جر انتقالي مادي أم جر لفظي معنوي ؟ وعندما نقول عن الاسم المحرك بالضمة مرفوعا انعني بكلمة مرفوع انه كان في مكان منخفض فرفعه المسبب لرفعه الى مكان مرتفع عال وعلى هذا القياس ايضا ماذا نعني بقولنا : « منصوب ومجزوم ومبني ؟ » أنبحث عن ادوار حركية نوزعها على هذه الشخوص لتمثلها على مسرح النحو ؟ واذا أجاز الدكتور لنفسه الاعتراض على فعل الحروف بالاسماء فلماذا سمح لحروف الجزم ان تتسلط على الافعال المضارعة وتعطل حركتها وتقيدها بسكون تلزمها حدا تقف عنده والافعال تضاهي الاسماء بعدد حروفها ان لم تزد عيها ؟ . أيرى في حروف الجزم قوة وسحرا يعجز الفعل المضارع عن مقاومتها فيستسلم لهما ويسكن اليهما ولا يرى مثل هذا لحروف الجر ؟ ان مجال البحث طويل وقد يمتد الى ابعد وابعد ولكنني سأترك الاستطراد مع اهميته واناقش البرهان الذي اعتمده الدكتور وجعله نقطة ارتكاز له : يقول : « في » يعني داخل لذلك استطيع ايراد الجملة السابقة على الشكل الاتي : « وضع الرجل الحلوى داخل الصحن » واذا اعربنا كلمتي (داخل الصحن) نجد ان (داخل) مضاف (الصحن) مضاف اليه . أو (داخل) مجرور (الصحن) مجرور اليه . »

ما اصعب ان نطبق نظرية في الهندسة مثلا على قواعد اللغة العربية فنقول (داخل) مضاف أي مجرور وهو ليس مجرورا و (الصحن) مضاف اليه أي مجرور اليه بتعويض الثانية من الاولى وهو ليس مجرورا اليه . هكذا وبهذه السهولة عوض عبارة بعبارة تساويها طولا وعرضا دون الرجوع الى قواعد الاعراب .

فالمعروف في الاعراب هو : مضاف ومضاف اليه لا مجرور ومجرور اليه ، ولا يشترط في المضاف ان يكون مجرورا ويشترط في المضاف اليه ان يكون مجرورا لا مجرورا اليه . انكيفه على اهوائنا لنصل الى غاية رسمناها مسبقا ؟ ان كلمة « داخل » ظرف مكاني والظرف منصوب دائما لا مجرور ، ويكون المضاف مرفوعا احيانا ومنصوبا احيانا اخرى ومجرورا ايضا ولكن بجار سابق له لا بفعل المضاف اليه .

والمضاف اليه يعرب هكذا : داخل مضاف والصحن مضاف اليه مجرور بالاضافة وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره .

بعد هذا التصحيح لخطأ في الاعراب حاول الكاتب ان يستغله لاثبات نظريته في اجتهاده اخلص الى نتيجة كان محلها في اول هذا الرد وهي :

اننا نقول في اعراب (في الصحن) جار ومجرور ... الخ وجار اسم فاعل ومجرور اسم مفعول والفاعل هو المسبب لكل ما يحدث به. فالصحن مجرور بالكسرة والذي سبب ظهور حركة الكسر في آخر كلمة الصحن هو حرف الجر « في » والتأثير هنا جر لفظي لا جر ديناميكي وهذا قول واضح لا غموض فيه ولا يحتاج منا تأويلا او تفسيرا كما فعل الدكتور . واحب ان اسال هنا اسئلة ما دام الدكتور يأخذ بالمعنى

الديناميكي لكلمة جر وكلمة مجرور : اين كان الاسم في اي مكان عندما جره الحرف والى اين جره وبالعكس كما يرى هو اين كان الحرف في اي مكان عندما جره الاسم والى اين جره ؟ ومن رأى الحروف متساحبة وخلفها الاسماء مشحوطة في سطور المتاهات ؟ .

وملاحظة اخيرة أسوقها على ادعائه ان الاسم يجر الحرف اليه لا العكس : من يتبصر بقواعد لغتنا العربية يجد ان تأثير الكلمات السابقة ينصب على الكلمات اللاحقة بشكل عام فالفعل يجعل الفاعل مرفوعا والمفاعيل منصوبة على تنوعها والحروف تؤثر بما بعدها ولا تتأثر به ، اما ان يتخطى الناقد موضوع الحركات ويسلط اضواءه على شكليات لا تمت لقواعد اللغة بصلة فهذا ما ننكره ونرفضه .

نامل من الدكتور ان يبحث في مواضيع متعمقة في قواعد لغتنا لتكتسب العربية شيئا جديدا هذا اذا كان مهتما بنحونا كل الاهتمام ، اما اذا كان الموضوع مجرد دعابة للنحاة او مجرد خاطر احب ان يعرضه فلا تثريب عليه ولكني انصحه بالا يداعب بامور تمس اللغة بجوهرها .

وانا عندما تصديت للرد عليه لم افعل هذا بصفتي من النحاة بل فعلته كعربي يحب لغته ويغار عليها ويتحاشى ان يصيبها العطب او يعبث بها مجتهد مخطيء ..

وتحياتي للدكتور النحوي

السلط ـ الاردن — عايد نصير حداد

الحرف هو الجار

بقلم خليل خلايلي

في العدد التاسع من مجلة الاداب الزاهرة تعرض الدكتور حسن الصابر الى مشكلة حروف الجر .. زاعما ان الاسم الذي يلحق بحرف الجر هو الجار في حين ان الحرف ـ حرف الجر ـ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا .

ولقد استعان الدكتور بامثلة علمية ليدعم وجهة نظره مؤكدا ان الصغير لا تتوفر له القوة والحيوية لجر الكبير ـ ثم اعطانا مقالا اخر ـ مثال الارض الكبيرة التي تجر القمر الصغير اليها .

وانتهى بمقدماته تلك الى ان الاسماء هي الجارة .

وهنا يجدر بنا ان نعود معه الى المثال الذي ضربه في بحثه وهو : (وضع الرجل الحلوى في الصحن) . ولنحاول ان نستقي عن حرف الجر ـ في ـ في هذه الجملة ما دام لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .. فاذا ما حذفناه اصبحت الجملة : (وضع الرجل الحلوى ـ الصحن ـ) غير مقبولة .. اذ ان معنى الفعل وهو ـ الوضع ـ لم يستطع ان يصل الى الصحن دون واسطة فعالة مؤثرة تؤثر فيما قبلها فتجر معناه الى ما يليها .. ثم بالتالي تؤثر فيما يليها فتغير حركاته وتخفض رأسه ذليلا صاغرا .

وهذا بالضبط هو الذي حدث .. فقد تمرد (الصحن) طيلة مدة غياب الحرف ـ في ـ بشدة دون ان يبدي اي اذعان او اية ليونة ، بل ظل مشمخر الانف بصلف وكبرياء لا معنى لهما .. وبقي هذا التمرد الى زمن وصول الحرف الشجاع الى ساح المعركة .. وبوصوله رأينا امرين هامين اولهما : استقامة معنى الجملة ... وثانيهما هو ان الصحن خفض رأسه طاعة دون ان يبدي اي تمرد من جهته .. فأيهما اذن يا سيدي الذي اطاع الاخر .. انه الصحن ينصاع لاوامر الحرف الشديدة فيلوي رأسه مرغما .

وبعد اذا كنا نعرف ان الحرف ـ في ـ لا يتبدل حاله في اي مكان وزمان في حين يتبدل ـ الصحن ـ فتراه مرفوعا تارة ومنصوبا تارة ومجرورا تارة اخرى .. فما هذا الا دليل ضعفه ومسايرته للظروف متأثرا بجو المؤثرات التي تتلاعب به رياحها كيفما شاءت .

كل هذا يقودنا الى معرفة مدى القوة والحيوية اللتين يتمتع بهما هذا الحرف الصغير .

والا فلماذا تتبدل علامة ـ الصحن ـ بين كل آن واخر الامر الذي جعلنا نميزه في كل حالة من حالاته بعلاماته .. وها نحن نميزه في حالة الجر فنقول ـ وعلامة جره الكسرة الظاهرة على اخره .. اذ ان الكسرة التي ارغم على قبولها هي دليل واضح على رضوخه وانقياده للحرف .

هذا من ناحية ، اما اذا كنا لا نريد ان نقبل جدلا بان الصغير لا يستطيع جر الكبير .. فما رأي سيدي الدكتور بالطفل الصغير الذي يجر حمارا كبيرا ضخما وما رأيه بالجحش الصغير يجر جملا كبيرا .. قد يقول سيدي الدكتور هنا ان الطفل يجر الحمار لسهولة انقياده وكذلك الجحش الصغير والجمل ..

ومهما يكن جواب الدكتور .. فالحقيقة لا تتبدل مطلقا اذ ان حادثة الجر وقعت فعلا وكان الصغير هو الجار بينما كان الكبير مجرورا .

بهذا نكون قد انتهينا من مقال الجر ، ولنعد الى تبديل الحرف ـ في ـ بمعناه وهو (داخل) كما في مقال الدكتور الصابر .

لا شك ان كلمة (داخل) هي مضمون ومحتوى الحرف ، (في) في حين ان الصحن يبقى فارغا دون محتوى اذا لم تتهيأ له مساعدة الحرف (في) .. وبالتالي الا نرى في كمون مثل هذا المعنى الكبير في الحرف الصغير دليلا على حيويته وقوته .. اذ يدلنا ذلك على كمون طاقة كبيرة في هذا الحرف في حين يبقى الصحن دون اية طاقة .

ولنترك الان مشكلة الطاقة والقوة ولنعد الى مثال الدكتور (وضع الرجل الحلوى داخل الصحن) ..

فالدكتور الصابر يقول ان (الصحن) هو مضاف اليه وان (داخل) هو مضاف .. وما دام (الصحن) هو المضاف اليه فلا شك ان (داخل) مشدود الى (الصحن) بقوة الصحن .

وهنا لا بد ان نتساءل دون ان نبعد كثيرا ... اي الكلمتين اكثر احتياجا للثانية .. واذن فلنجرب .

(وضع الرجل الحلوى ـ الصحن ـ) هذه الجملة ليس لها معنى .. لا بد لها من مؤثر قوي يساعد على اتمام معناها ...

لماذا لا يبدي ـ الصحن ـ شجاعته ويتمم معنى الجملة ؟ والجواب ... لا يستطيع .. لانه ضعيف . ولا بد لنا من ان نمنحه الحياة من جديد فنضيف اليه كلمة داخل ـ التي هي بمثابة الترياق .. اذ ان الاداة (في) يتقمص بداخلها .. وفي تلك الاداة الغائبة تكفي رائحتها فقط لجر المضاف اليه وترغمه على الاذعان وخفض الرأس .

واذا عدنا الى كتب النحو لنعرف لنا الاضافة نجدها تقول : «الاضافة نسبة بين اسمين على تقدير حرف الجر توجب جر الثاني ابدا نحو : (هذا كتاب التلميذ) والتقدير هذا كتاب للتلميذ .. »

ولو قلنا في الجملة الاولى (هذا كتاب) بالتنوين لتم المعنى وبحذف التنوين من ـ كتاب ـ والاكتفاء بالضمة ... اختل المعنى .. فحلت كلمة (التلميذ) محل التنوين فقط .. فلم تقم باعباء عمل عظيم .. اذ ليس ذلك باستطاعتها .. واكتفت بالحلول محل حركة صغيرة هي التنوين .

وبعد اذا كانت كلمة « داخل » هي المجرورة فعلا فما هو الدليل على ذلك ... واين هي علامة جرها .. ما دام لا بد للمجرور من علامة جر تميزه عن غيره من المعربات .

وبعد كل هذا ايمكننا القول ان الحروف لا حول لها ولا قوة ؟.. لا يا سيدي ... ان الحرف هو الجار دائما وابدا بما يكمن فيه من قوة واستطاعة . وليتقبل سيدي الدكتور تحياتي .

جامعة دمشق — خليل خلايلي